أبو الفرج الأصبهانى
الأموى المتشيع

بقلم
الدكتور محمد عرفة المغربى
أستاذ الادب والنقد المساعد بالكلية

تقديم :

أبو الفرج الأصبهانى ، علم من أعلام العرب بلا مراء ولا يستطيع باحث أن يتجاهل كتابه « الأغانى » فى العصور التى عرض لها وهى العصر الجاهلى ، وعصر صدر الإسلام وعصر الأمويين ، وصدر العصر العباسى ، وقد ترجم فيه لعشرات الشعراء والكتاب والأعلام ، وروى من الشعر والنثر أشياء كثيرة ، وأصدر أحكاما شتى على الرجال ، وعلى القبائل كما تناولت بعض البيئات أحيانا أخرى .

ولأبى الفرج كتب عديدة غير الأغانى ، أهمها « مقاتل الطالبيين » وقد شاء الله أن يعلو شأن أبى الفرج فى عصرنا الحاضر ، إذ اعتمد كثير من الباحثين على أغانيه فى إصدار أحكام عديدة على عصر صدر الإسلام ، والعصر الأموى ، كما رأينا فى « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين ، حيث وصف إقليم الحجاز باللهو والمجون ، وأنحى على شعرائه باللائمة اعتماداً على كتاب الأغانى ومروياته عن الإقليم .

وهذا ما دفعنا إلى التصدى لدراسة أبى الفرج ، محاولين البحث عن سر تحامله على الحجاز ، موطن الصحابة والتابعين حفظة القرآن الكريم ، وحديث رسوله الأمين فكان هذا البحث الذى أقدمه الآن ، وبالله التوفيق .

أثار صاحب الأغانى أفكار الباحثين حول نسبه ومذهبه وروايته وطالما اختلفوا فى هذه الأمور اختلافا كبيراً ، كما ظهر أثر هذه الأمور أيضاً فى آرائه ومروياته وبخاصة تلك التى نقلها عن الحجاز ، واعتمد عليها كثير من كتابنا المعاصرين ، لجانبهم الصواب والتوفيق .

وأحاول فى هذا البحث أن أعرض لشيء من ذلك ، معتمداً على أسلوب علمى نزيه ، وعلى المراجع العديدة ، وأسأل الله سبحانه الهداية والتوفيق .

أصله وتحصيله :

أبو الفرج اسمه على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم ابن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن أمير المؤمنين مروان بن محمد بن مروان بن الحكم(١) فهو يتصل بآخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد وينتهى نسبه إلى أمية بن عبد شمس بن مناف .

نسب عريق ولا ريب ، ولكنه لم يكن واضحا ، وكان لقب الأصفهانى أظهر فى الدلالة على أبى الفرج بين الناس فى عصره وبعد عصره على السواء وسبب ذلك أن ما أصاب بنى أمية على يد العباسيين الغالبين جعلهم يتفرقون فى نواحى البلاد شرقا وغربا يطلبون الأمان حرصا على حياتهم التى تهددها سيوف الغالبين ويبدو أن جده عبد الله بن مروان بن محمد فر ناجيا بنفسه وأسرته إلى أصبهان بعد أن دالت دولة الأمويين وأصابهم ماأصابهم من أذى ومقاتل ... فتخفى بين أهلها المعروفين بتعصبهم للسنية فى ظل لقب مغمور ،

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٠٧ ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان تحقيق دكتور إحسان عباس ط دار صادر ببيروت ج ٣ ص ٣٠٧ .

ثم هجرها أبناؤه أو احفاده قاصدين سامراء وبغداد بعد أن هدأت الأحوال واستقرت الأمور فعملوا كتابا وموظفين فى دواوين الخلافة وحملوا معهم هذا اللقب الأصفهانى الذى ارتضوا به بديلا عن أمويتهم الصريحة (١).

ويبدو أن آله وأعمامه كان لهم ولع بالكتابة والتأليف ولذلك نراهم قد تولوا بعض مناصب الدولة التى تتصل بذلك من قريب .

كان عمه الحسن بن محمد من كبار الكتاب سر من رأى أدرك أيام المتوكل ، وكان عمه عبد العزيز بن أحمد بن الهيثم من كبار الكتاب أيضا أيام المتوكل (٢).

وكان جده لأمه يحيى بن محمد بن ثوابة من المؤلفين والأدباء إذ اتخذ أبو الفرج من كتابه فى الشعر والشعراء مصدرا أساسيا من مصادر تأليف الأغانى فأكثر النقل منه وأجاد وأكد مرات عديدة أنه يعتمد على النسخة المكتوبة بخط جده .

ومن آل ثوابة الذين روى عنهم بعض أخباره أبو العباس أحمد بن محمد ابن ثوابة وابنه الفضل العباس بن أحمد وكانا من كبار الكتاب والأدباء فى ذلك العصر (٣).

وقد أخذ أبو الفرج عن كثير من العلماء فى عصره الذى كان يزخر بالأعلام والرواد ومن شيوخه ابن دريد وابن الأنبارى والجمحى والأخفش

---

(١) أبو الفرج الأصبهانى أديب مشهور مغمور للأستاذ محمد خير موسى بحث فى مجلة عالم الفكر المجلد الخامس عشر العدد الأول يونيو ١٩٨٤ ص ٢٦١ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ١٠٧ .

(٣) عالم الفكر المجلد الخامس عشر ص ٢٦٢ .

ونفطويه وأبو جعفر محمد بن جرير الطبرى وابن المرزبان وابن قدامة واليزيدى وغيرهم من رجال اللغة والنحو والأدب والشعر والأنساب والأخبار والحديث والتفسير والتاريخ .

ولا شك فى أن لهؤلاء الأساتذة أثرا عظيما فى أبى الفرج ، كما نقل عنهم كثيرا من مروياته فى الأغانى وغيره من كتبه العديدة [1].

ومن أظهر شيوخه أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الذى ظهر أثره فى أول كتبه مقاتل الطالبيين إذ تقرأ فى مقدمته قوله : قرأت ذلك على محمد ابن جرير الطبرى فأقر به . وروى عنه معظم أخبار العرب القديمة ومغازى الرسول عليه السلام وشعراء الدعوة الإسلامية وعدد من الفقهاء والمحدثين وغيرهم ، ومنهم أبو بكر محمد بن يحيى الصولى صاحب « أخبار أبى تمام » و « الأوراق » و « أدب الكاتب » وصانع دواوين أكثر من خمسة عشر شاعرا من المحدثين وقد روى عنه أخبار عدد كبير منهم وكان له أثر ظاهر فى شخصيته الثقافية [2].

وقد أجمل ابن خلكان الحديث عن شيوخه إذ قال : « روى عن كثير من العلماء يطول تعدادهم ، وكان عالما بأيام الناس ولأنساب والسير » [3].

وكأنه إذ أجمل الحديث عن شيوخه فصل أثرهم عنده بشهادته له بعلم تلك الفروع .

(١) أبو الفرج الأصبهانى من سلسلة نوابغ الفكر بقلم شفيق جبرى ط. دار المعارف ص ١١ وظهر الإسلام للدكتور أحمد أمين ـ طبعة ثالثة الجزء الأول ص ٢٤٠ طبعة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢ .

(٢) عالم الفكر ص ٢٦٣ .

(٣) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٠٧ .

أما تلاميذه فهم كثيرون كذلك منهم الإمام الدارقطني أبو الحسن علي ابن عمر البغدادي روى عنه الحديث وغرائب مالك ، ومحمد بن أبي الفوارس، وعلي بن أحمد الرزاز ، وأبو إسحاق الطبري ، وعبد الله الفارسي ، وإبراهيم بن مخلد وأبو علي بن دوما ولم يكن سماع بن دوما منه صحيحا [١].

كما قرأ عليه أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي معظم كتبه وأكثر النقل عن الأغاني بإجازة عن أبي الفرج وقراءة عليه إذ كان من رواد مجلسه وهو صاحب كتاب نشوار المحاضرة الذي أراد به أن يحقق فكرة لطيفة وهي أن يدون تاريخ الأحداث التي تدور في المجالس وعلى ألسنة الرواة ولم تدون في الكتب ، وله كتاب الفرج بعد الشدة وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد ومات ببغداد سنة ٣٨٤ هـ كما كان أبوه أبو القاسم التنوخي أحد أصحابه وزملائه في ندوة الوزير المهلبي وهو صاحب مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد ومات بالبصرة سنة ٣٤٢ [٢].

وهكذا نجد أن أبا الفرج تأهب للأمر غاية التأهب ، وأخذ عن أعلام العصر فضلا عن وراثة عريقة تدفعه إلى المجد وتساعد عليه من جهة أبيه وأمه على السواء .

منزلتـــه :

من هنا كانت شهادة العلماء له ولكتبه في القديم وفي الحديث على السواء شهادة بالعلم والاطلاع وإن خلت من التقدير والتبجيل في كثير من الأحيان .

---

(١) تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ هـ طبعة دار الكتاب العربي ببيروت جـ ١١ ص ٣٩٩ .

(٢) عالم الفكر وظهر الإسلام جـ ١ ص ٢٤١ .

يقول البغدادى : « حدثنا التنوخى عن أبيه قال : ومن الرواة المتسعين الذين شاهدناهم أبا الفرج الأصبهانى فإنه كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار والحديث المسند والنسب ما لم أر قط من يحفظه مثله وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء ويحفظ دون ما يحفظ منها علوما أخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازى ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك (١)

والبغدادى عالم بالرجال علما واسعا حتى إنه ألف فى رواية الآباء عن الأبناء وفى رواية الصحابة عن التابعين (٢).

فإذا شهد له البغدادى ـ وهو من هو علما وتحصيلا ـ هذه الشهادة كان ذلك دليلا على مبلغ علم صاحبنا وسعة ثقافته إلى الحد الذى فصله البغدادى . ويؤكد البغدادى شهادته له بالعلم فى مقام آخر فيقول :

« وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسير ، وكان شاعرا محسنا والغالب عليه رواية الأخبار والآداب » .

ثم يذكر البغدادى أمرا هاما وهو أن الأصبهانى كانت له كتب ببلاد الأندلس لم تشع فى الشرق ، ولا غرابة فى ذلك فقد كانت تربطه بالأمويين فى الأندلس قرابة نسب وكان يرعاها ويعتز بها رغم لقبه الأصبهانى يقول البغدادى :

وحصل له ببلاد الأندلس مصنفات لم تقع إلينا ، منها كتاب نسب بنى عبد شمس وكتاب أيام العرب ذكر فيه ألفا وتسعمائة يوم ، وكتاب التعديل

---

(١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٩٩ .
(٢) ظهر الإسلام ج ٢ ص ٤٧ .

والانتصاف فى مآثر العرب ومثالها وكتاب جمهرة النسب وكتاب نسب بنى شيبان، وكتاب نسب المهالبة، ونسب بنى تغلب ونسب بنى كلاب وكتاب القيان، وكتاب الغلمان المغنين وكتاب مجرد الأغانى [1].

حشد هائل من المؤلفات والكتب إن دل على شىء فإنما يدل على علم غزير واطلاع واسع، وقد يكون بعض هذه الكتب أوسع من كتاب الأغانى، ولكن الحكم بذلك لا يكون دقيقا حتى تظهر تلك الكتب بين الناس.

أما ابن خلدون فإنه أشاد به وبكتابه الأغانى وجعله الغاية التى لا تدرك فقال: وكان الغناء فى الصدر الأول من أجزاء هذا الفن - يعنى فن الأدب - لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص فى الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتحاله قادحا فى العدالة والمروءة، وقد ألف القاضى أبو الفرج الأصبهانى وهو من هو كتابه الأغانى جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه، ولعمرى إنه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلمه فهو الغاية التى يسمو الأديب ويقف عندها وأنى له بها [2].

فالأغانى ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن فى كل فن، وهو الغاية التى يسمو إليها الأديب.

---

(١) تاريخ بغداد ص ٣٩٨ ج ١١ والمنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى المجلد السابع ص ٤٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٩ طبعة المطبعة البهية بمصر.

وقد لقى كتاب الأغانى من عناية حكام عصره وعلمائه الشيء الكثير وظلت هذه العناية إلى اليوم ، فقد أهداه أبو الفرج إلى سيف الدولة فأجازه بألف دينار واعتذر إليه (١).

وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال :

لقد قصر سيف الدولة وإنه ليستأهل أضعافها ووصف الكتاب فأطنب ثم قال : ولقد اشتملت خزانتى على مائتين وستة آلاف مجلد ما منها ما هو سميرى غيره ولا راقنى منها سواه وقيل لم يكن كتاب الأغانى يفارق عضد الدولة فى سفره ولا حضره وإنه كان جليسه الذى يأنس إليه وخدينه الذى يرتاح نحوه (٢).

ولهذا كله كان له الأثر البالغ فى كتابنا المعاصرين الذين اعتمدوا عليه ونقلوا منه من غير تثبت ولا حيطة ثم انساقوا وراءه مع أن الكتاب ومؤلفه يدور حولهما كلام كثير .

---

(١) فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين للدكتور مصطفى الشكعة ص ١١٠ مطبعة الأنجلو . ووفيات الأعيان جـ ٣ ص ٣٠٨ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت جـ ١٣ ص ٩٥ ط دار المأمون .

أبو الفرج الأموى

ظهر من كلامنا السابق أن أبا الفرج كان أموى النسب والدم ، وأن كتبا له كانت ببلاد الأندلس لم تقع إلى البغدادى ، لأنها لم تنتشر فى بلاد المشرق بل لا يكاد المشرق يعرف عن أكثر هذه الكتب إلا اسمه .

وكان أبو الفرج يكرم وفادة رسل الدولة الأموية بالأندلس ويختصها بثمار قريحته ونتائج فطنته ويؤلف الكتب ثم يرسلها إليهم فتظهر عندهم قبل ظهورها فى المشرق[1] .

ويقول صاحب الوفيات : إنه سير كتبه إليهم سراً وجاءه الإنعام منهم سراً[2] .

فصلته بالأمويين وثيقة ولا ريب ، ودراسة الأغانى توضح ذلك كل الوضوح فهو لا يترك مناسبة يمكن أن يشيد فيها بالأمويين إلا وفعل ذلك وبثه فى ثنايا كتابه ، ونقل من الأخبار ما أبرز جانبا مشرقا من حياة يزيد بن معاوية ، والوليد بن يزيد الذى اشتهر بنزواته وجريه مع الهوى يميل به حيث يميل .

كما أفاض فى رواية مدائح الأمويين ومن ذلك قصيدة العبلى فى مديح هشام بن عبد الملك وبنى أمية التى روى منها أربعين بيتاً كاملة فكانت من أطول ما رواه الشعراء فى كتابه وقصيدته الأخرى فيهم وقد روى منها واحداً وعشرين بيتاً ، كما روى من رثائه إياهم مثل هذا العدد أيضا .

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبى الفرج شرح وتحقيق السيد أحمد صقر ج ١ عيسى الحلبى سنة ١٩٤٩ المقدمة ص م .

(٢) وفيات الأعيان ص ٣٠٨ ج ٣ .

وروى من قصيدة العديل بن الفرخ فى مديح الحجاج والأمويين سبعة وثلاثين بيتا ومن مدائح مروان بن أبى حفصة وعدى بن الرقاع وأعشى ربيعة وأمية بن أبى عائذ والأخطل والفرزدق وجرير وغيرهم كثير من الشعراء الذين أطال فى رواية أشعارهم فى الأمويين ومدائحهم.

وكثيراً ما وجدناه يقف موقف المدافع عن الأمويين ، ويدحض التهم اللاصقة بهم ومن ذلك قصة وضاح اليمن مع زوجة الوليد بن عبد الملك إذ قام بنفيها والحكم بنحلها ، وأورد على ذلك عدة روايات مختلفة وأكد أن أحد الزنادقة الشعوبيين قد صنع هذا الخبر .

كما حاول نفى ما يلصق بالوليد بن يزيد من الأشعار التى تدل على كفره ويقول إنه نحله وألصق به، إلى جانب إبرازه الجانب الخفى من علاقه الأمويين بالطالبيين وهو الجانب الإيجابى مثل قصة عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص وقد بكى حين رأى رأس الحسين ورثاه بشعر مؤثر .

كما حكى خبر عبد الله بن الحسين فقد بكى عندما سمع شعر العبلى فى رثاء بنى أمية فقال له عمه الحسن بن حسن بن على:

أتبكى على بنى أمية وأنت تريد ببنى العباس ما تريد ؟ فقال : والله يا عم لقد نقمنا على بنى أمية ما نقمنا فما بنو العباس إلا أقل خوفا لله منهم وإن الحجة على بنى العباس لأوجب منها عليهم ولقد كان للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبى جعفر "[1] .

ورثاء العبلى المشار إليه يصدر عن طبع موات وعاطفة جياشة وإحساس صادق .

---

(١) عالم الفكر ص ٢٨٧ بتصرف .

قال له عبد الله بن الحسن : أريد أن تنشدنى شيئاً مما رثيت به قومك فأنشده :

تقول أمامة لما رأت ... نشوزى عن المضجع الأنفس
أبي ما عراك ؟ فقلت الهموم ... عرون أباك فلا تلبسى
لفقــد العشيرة إذ نابها ... سهام من الحدث المبئس
رمتها المنون بلا نصل ... ولا طائشات ولا نكس
فصرعاهم فى نواحى البلا ... د تلقى بأرض ولم ترمس
كريم أصيب وأثوابه ... من العار والذام لم تدنس
وآخر قد طار خوف الردى ... وكان الهمام فلم يحسس
فكم غادروا من بواكى العيو ... ن مرضى ومن صبية بؤس
إذا ما ذكرتهم لم تنم ... لحر الهموم ولم تجلس
يرجعن مثل بكاء الحما ... م فى مأتم قلق المجلس

إلى أن يقول :

فما أنس لا أنس قتلاهم ... ولا عاش بعدهم من نسى(١)

فهو يورد من الشعر ما يرفع بنى أمية درجات ، وله من علمه وذوقه ما يجعله يحسن الاختيار ويجيده ، كما يقدم له بما يمهد قبول النفس له واطمئنانها إليه فى أغلب الحالات ، ومن ذلك فى مقامنا هذا قدوم العبلى إلى سويقة قرب المدينة وكان يسكنها آل على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وطلب عبد الله منه أن ينشد شعره هذا ، وبكاء محمد بن عبد الله بن حسن ، ثم ما كان من حوار بينه وبين الحسن بن الحسن تضمن إشادة ببنى أمية وترحما عليهم وذكرا لمآثرهم .

---

(١) الأغانى ج ١١ ص ٤٠٨٦ .

أموية الأصبهانى ظاهرة ولا ريب فى هذا المقام وفى عشرات المناسبات تجدها واضحة فى كثير من التراجم ولأدنى الملابسات ولو حاول باحث أن يستقصى ذلك لأعياه ، ولكنى أسوق مثالا أذكره من ذلك أورده فى ترجمة أبى قطيفة أول من ترجم له فى كتابه ، وهو شاعر أموى النسب ولكنه كان يهوى المدينة المنورة ويشيد بها وينفر من الشام ويضيق بقصوره ، ولكنه أخرج من المدينة مع الأمويين بسبب نفورهم من يزيد بن معاوية ، مما كان سبباً فى موقعة الحرة بعد أن أخرجوا الوالى مروان بن الحكم وسائر الأمويين وآذاهم بعض أهل المدينة مما يحدث فى مثل هذه المناسبات فقد صور أبو الفرج أن هذا الإيذاء لم يكن إلا من سفهاء المدينة ، وأن سائر أهلها كانوا مع بنى أمية ، وأن عبد الله بن عمر قد ندم إذ لم يرض أن يضم إليه عيال مروان حتى إنه ود أن ينصرهم فقد ظلموا وبغى عليهم ولم يلبث يزيد أن أوقع بأهل المدينة وكانت مقتلة رهيبة[1] .

يسوق أبو الفرج هذا كله فى مرويات ينقلها وكأنه نزيه الهوى مبرأ الميول ولم يذكر أن مسلم بن عقبة المرى نال من المدينة وأباحها لجنود الشام ثلاثة أيام ثم أخذ العهد ممن سلموا على أنهم خول ليزيد، ونجد فى نفس الترجمة حديثه عن سعيد بن العاص وفيه إشادة بعفته وكرمه وذكائه ووفاء ولده عمرو وأريحيته إلى جانب الإشادة بمعاوية كذلك ، ولن أعرض لكلامه فى ذلك لأن هذا أمر يطول[2] .

---

(١) الأغانى ج ١ ص ٢٥ وما قبلها خبر أبى قطيفة وانظر دراستنا فى حولية كلية الدراسات العدد الثانى بعنوان أبو قطيفة شاعر الحنين إلى الوطن ، على وبنوه لطه حسين ص ٢٤٧ .

(٢) الأغانى ج ١ ص ٣٣ وما قبلها :

أموى يعتز بأمويته ، ويتعصب لنسبه ، ويشيد بمآثر آله ، ولا يترك مناسبة يصلح فيها الدفاع عنهم إلا انتهزها فى ذكاء ثم كانت صلاته بالأمويين فى الأندلس وإهداء كتبه لهم جهـــرا أو سرا كما يقول صاحب الوفيات من الشواهد على ما نقول : وأموية أبى الفرج وتعصبه لنسبه وراء مروياته عن إقليم الحجاز وبخاصة مكة والمدينة فى عصر بنى أمية ، فقد نقل صورا من اللهو والعبث عن المدينتين صورهما فى صورة مجتمع لا يرعى القيم ، ولا يتمسك بالأخلاق وتشيع فيه المحظورات وذلك كله بدافع عدائه للمدينتين لأنهما حملتا راية العصيان والثورة على بنى أمية طوال حكمهم مما كان له أثر كبير فى سقوط الدولة الأموية قبل أن تـكمل مائة عام وذلك عمر قصير بالنسبة للدول والممالك[1] .

وكان على كتابنا المعاصرين الذين أصدروا أحكاما عديدة على مكة والمدينة فى عصر الأمويين معتمدين على نقول عن أبى الفرج أن يتنبهوا لذلك حتى لا يقعوا فى خطأ بعيد .

ولتفصيل هذا موضع آخر لأنه يتصل برواية أبى الفرج ، وصدقه وحسن تحريه .

(١) أبو الشهداء الحسين بن على للأستاذ عباس محمود العقـاد الطبعة الثانية ص ١٦٣ وما بعدها .

إذا كان أبو الفرج أموى النسب والهوى فكيف يستقيم القول بأنه شيعى، وأنه شيعى إمامى كما ذكر ذلك المؤرخون ؟ إنها قضية طالما عرض لها الكتاب فى الماضى وفى الحاضر، ووقفوا منها موقفاً متفاوتاً إلى حد بعيد.

ووجه الغرابة أنه أموى النسب والدم، والعداء كان قائماً بين هؤلاء وبين الشيعة طوال دولتهم حتى دالت فى المشرق عام ١٣٢ ه‍، وهى قد دالت على أيدى الشيعة الذين ناصبوها العداء من بدء قيامها، بل وقبل أن تقوم، واستمر عداؤهم لها حتى سقطت على أيديهم ظانين أن العلويين هم أصحاب الدعوة الجديدة، ثم تكشفت الحقيقة، وظهر أن بنى العباس هم الخلفاء الجدد، وأنهم أحاطوا أمرهم بالكتمان، وادعوا أن أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية خرج إلى الشام فلقى محمد بن على بن عبد الله بن عباس فعهد إليه وقال : يابن عم، إن عندى علما أريد أن أبديه إليك فلا تطلعن عليه أحداً، إن هذا الأمر الذى يرتجيه الناس فيكم. قال : قد علمته فلا يسمعنه منك أحد[1].

عداء قديم بين بنى أمية وشيعة على من أبناء بنى هاشم، ويرجع بعض الكتاب ذلك العداء إلى صدر الإسلام حيث كانت زعامة المشركين لأبى سفيان رأس بنى أمية آنذاك، وقد حارب فى بدر وفى أحد وفى الخندق ولم يسلم إلا عند فتح مكة بآخرة وتألفه الرسول الكريم فأعطاه من غنائم حنين الشىء الكثير فكان من المؤلفة قلوبهم، ويعلل بعض المؤرخين ذلك العداء للإسلام

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣١٩ أحداث سنة ١٣٢ ه‍ بتصرف وراجع تاريخ الطبرى الجزء السابع أحداث سنة ٢٣٢ ه‍ وما قبلها.

وللرسول الكريم تعليلا يقوم على النسب والعصبية التى كانت بين بنى هاشم وبنى أمية فى الجاهلية أيضا .

فكيف يكون أبو الفرج الأموى شيعيا رغم ذلك كله ؟ .

إن تشيع أبى الفرج لم يحدث عندما كان العداء مستحكما إبان قيام الدولة الأموية ، وإن كان فى أوائل القرن الرابع الهجرى الذى عاش فيه أبو الفرج وكانت الأمور قد تبدلت وتغيرت ، فلم يعد الأمويون أصحاب أمر ونهى ، وإنما صاروا مشتركين مع العلويين فى وقوع ظلم العباسيين عليهم جميعا وقتلهم إياهم حينا بعد حين ، وقد كان حال الأمويين والعلويين شرآ محضا تحت سلطان بنى العباس ، ومن هنا فقد اجتمع الفريقان على عداء العباسيين الذين اغتصبوا سلطان الأمويين ، كما اغتصبوا آمال العلويين فى خلافة شيعية تقوم على تعاليم الشيعة ، وترفع عنهم ماوقع عليهم من ظلم بين وإجحاف طويل .

لقد صار للفريقين الأمويين والشيعة عدو يجمعهم عداؤه ومن هنا صار تشيع بعض الأمويين أمرا جائزآ وقريبا ، وإن ظل تشيعه محل تعجب .

جاء فى لسان الميزان :

على بن الحسين أبو الفرج الأصفهانى الأموى صاحب كتاب الأغانى شيعى وهذا نادر فى أموى[1] .

ويقول الخطيب البغدادى بعد أن أورد نسبه وأخباره وكتبه ووفاته : وكان أمويا وكان يتشيع[2] وكأن تشيعه مع أمويته أمر غريب حقا .

أما ابن الجوزى فإنه يقول :

---

(١) لسان الميزان لابن حجر طبع مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ببيروت ط ثانية ج ٤ ص ٢٢١ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٠ .

وكان يتشيع [1].

وفى مقدمة مقاتل الطالبيين :

إنه وإن كان أموى النسب فإنه شيعى الهوى وليس ذلك بمستغرب ولا مستنكر فإن التشيع الحقيقى ينجم عن حب الرسول ويصدر عن مودة قرباه وآل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والحب الصادق لا يقيم وزنا لفارق النسب ولا لغيره من الفوارق التى يحقرها ويحطم مغاليقها وأسوارها وإن تواضع الناس على احترامها نعم كان أبو الفرج أمويا شيعيا وشيعيا أمويا يعطف على الدولة الاموية بالاندلس ويكرم وفادة رسلها إليه ويختصها بثمار قريحته ونتائج فكره ويؤلف الكتب ثم يرسل بها اليهم فتظهر عندهم قبل ظهورها فى المشرق بل لا يكاد المشرق يعرف عن أكثرها إلا اسمه [2].

فتشيع أبى الفرج أمر شائع وذائع بين الكتاب فى القديم والحديث ومن بين المحدثين الذين تحدثوا عن تشيعه محاولين تعليله الدكتور خلف الله الذى ألف عنه كتابا يقول :

كان أبو الفرج من الشيعة ، والتشيع مذهب دينى وسياسى فى وقت معا ، وكان أبو الفرج من الشيعة الزيدية ينص على ذلك المؤرخون من أمثال الطوسى وصاحب الذريعة كما يذكر ذلك أبو الفرج نفسه حين يقول متغزلا :

أنت يا ذا الخال فى الـ وجنة مما بى خالى
لا تبالى بى ولا تخـ ـطرنى منك ببال

(١) المنتظم جـ ٧ ص ٤١ .
(٢) مقاتل الطالبيين لأبى الفرج مقدمة المحقق ص م .

لا ولا تفكر فى حا لى وقد تعرف حالى
أنا فى النـاس إمامِ ى وفى حبك غالى

وابن الأثير قال فى أحداث سنةست وخمسين وثلاثمائة وهو من ولد محمد ابن مروان بن الحكم الأموى وكان شيعياً وهذا من العجب[1].

شيعى زيدى إمامى بشهادة كثير من الاقدمين ، وبما كتب عن الشيعة فى كتابه مقاتل الطالبيين الذى تناول فيه قتلى الطالبيين إلى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وأشاد فيه بمآثرهم ناعيا على من قتلهم من الامويين والعباسيين على السواء ، كتاب دال على تشيع مؤلفه وميله إلى العلويين ، وأساه لما حل بهم من نكبات ، وقد ألفه فى أول عهده بالتأليف فهو إذا يعبر عن ذاته ، ويدل على دخيلته إلى حد كبير .

وقد قلنا أن تشيعه أمر سائغ فى ظل عداء الامويين والعلويين لبنى العباس الذين أذاقوا الفريقين وبالا .

وأيضاً فإنه قد ورث التشيع عن آل ثوابة أجداده من جهة أمه وكانت هذه الاسرة من الزيدية ، كما كان أبو الفـــرج وأنها استهدفت للاضطهاد بسبب ذلك ، وقد كان آل ثوابة من النصارى وحين أسلموا أصبحوا من غلاة الشيعة ومن الروافض ، ولقد ترجم لهم صاحب أعيان الشيعة فيمن ترجم لهم من أعيان هذه الطائفة[2] .

---

(١) صاحب الأغانى أبو الفرج الراوية للدكتور محمد أحمد خلف الله ـ الطبعة الثالثة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ص ١٣٧ .
وذكر مراجعة فى هامش الصفحة ، وراجع أيضاً النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٥٩ حيث قال عنه وكان ظاهراً بالتشيع .
(٢) صاحب الأغانى ص ٤٨ وما قبلها بتصرف .

وهناك عامل ثالث وهو تلك التربية الكوفية التى قام عليها رجال من الشيعة بل رجال من غلاة الشيعة كأحمد بن محمد بن سعيد ذلك الذى كان يملى فى مثالب الصحابة .

ويذكر الطوسى أن أبا الفرج ألف كتاب ما نزل من القرآن فى أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام ، كما ألف كتابا آخر فيه كلام فاطمة عليها السلام فى فدك .

وهذه كتب شيعية بموضوعاتها ولا تصدر إلا عن نزعة شيعية كما هو الواضح[1] .

فالتربية التى كانت فى الكوفة ، والنسب من جهة أمه والظروف السياسية التى تغيرت وأزالت ما بين أعداء الأمس العلويين والأمويين وجمعت بينهم لمواجهة العدو الجديد كل ذلك يدعو إلى قبول تشيعه بعد أن رأينا تأليفه عن الطالبيين فى المقاتل وفى الأغانى على السواء .

ولكن تنفى بعض الكتابات التى تشيعه مثل :

وأيا ما وجد فى كلماته من المديح ففيه أولا أنه غير صريح ولو سلم فهو محمول على قصد التقرب إلى ملوك ذلك العصر المظهرين لولاية أهل البيت غالباً والطمع فى جوائزهم العظيمة بالنسبة إلى مادحيهم كما هو شأن كثير من شعراء ذلك الزمان فإن الإنسان عبد الإحسان مع أنى تصفحت كتاب أغانيه المذكور إجمالا فلم أر فيه إلا هزلا أو ضلالا أو بقصص أصحاب الملاهى اشتغالا وعن علوم أهل بيت الرسالة اعتزالا ، وهو فيما ينيف على ثمانين ألف بيت تقريباً ، مضافا إلى كون الرجل من الشجرة الملعونة فى القرآن وداخلا فى سلسلة بنى أمية وآل مروان ، فكيف يمكن وجود رجل من أهالى

---

(١) صاحب الأغانى أبو الفرج الراوية بتصرف ص ١٣٨ وما قبلها .

الإيمان فى قوم توجه إلى قاطبتهم الألعان على كل لسان ومن أى إنسان(١) .

وعلة هذا الكلام واضحة فى ثناياه ، ذلك أن أبا الفرج فى أغانيه لم يتنزه عن شبهة ، ولم يتجانف عن ريبة ، ولم يبتعد عن منكر ولذا أنكر صنيعه كثير من العلماء مما دعا إلى القول بعدم تشيعه حتى لا يكون سبة عليهم ، وإن كان كلام صاحبنا فيه تعميم ومبالغة يرفضها الإسلام الحنيف ويأباها الفكر السليم .

على أن تشيع أبى الفرج لم يكن عميقاً يدفعه إلى بذل النفس رخيصة وإنما كان نزعة قلبية ساعدت عليها وراثته من جهة آل ثوابة أسرة أمه ، وتربيته تربية شيعية وظروف العصر الذى تغير على الأمويين وعلى العلويين معاً ، كما أن دولة بنى بويه كانت شيعية وقد عاش صاحبنا فى ظل ملكهم وقد أظهروا تعصبهم الشديد لآل البيت .

وأيضاً فإن التشيع كان سمة العصر وطالما نال العلماء أذى من الشيعة لبعض أقوال أبدوها فى حق على رضى الله عنه أو فى حق واحد من آله(٢) .

وهذا ما دعا بعض الباحثين المعاصرين إلى نفى تشيعه وإن كان قد أظهر المحبة والولاء لآل البيت وأشياعهم دون أن يعنى ذلك تشيعه فى مذهبه الدينى ومعتقده كما هو معروف لدى معظم المؤلفين(٣) .

ولست أدرى كيف استطاع ذلك الباحث أن يفرق بين التشيع الحقيقى وإظهار المحبة والولاء لآل البيت وأشياعهم ، بعد أن كتب أبو الفرج عن أكثر من مائتى طالبى فى كتابه المقاتل وبعد أن كتب فى الأغانى ما يزيد على ذلك عن شعراء الشيعة وأخبارهم ورجالهم فى إجادة وإتقان .

(١) المرجع السابق ص ١٣٧ نقلا عن روضات الجنات فى أحوال العلماء السادات ط العجم سنة ٤٧٨ .
(٢) عالم الفكر ص ٢٧٩ .
(٣) المرجع السابق .

إننا لا نقول بأنه كان من غلاة الشيعة ولا من مقدميهم وإنما نقول إنه شيعى الهوى مما دفعه إلى مناصرة آل البيت ورثاء موتاهم والنعى على قاتليهم من الأمويين والعباسيين ، ولا شك أن مصارع آل البيت وما حل بهم من نكبات وويلات دفع كثيراً من المسلمين إلى الأسى والحزن ومظاهرتهم فى التشيع إلى حد بعيد .

ويرى بعض الباحثين أن التشيع وقف منه عند حد العقل والذاكرة حتى إنه سخر فى بعض الأحيان من الشيعيين :

يقول التنوخى :

أخبرنى أبو الفرج الأصبهانى قال : سمعت رجلا من الشيعة يؤذن الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن علياً ولى الله محمد وعلى خيرا البشر ، فمن أبى فقد كفر ، ومن رضى فقد شكر حى على الصلاة حى على الفلاح حى على خير العمل الله أكبر لا إله إلا الله ثم يذكر شربه الخمر وحبه الغلمان وحياته حياة المستهترين[1] وذلك حديث آخر[2] .

وهكذا بان لنا أن أبا الفرج الأموى كان مخلصا لأمويته متعصباً لنسبه بعد زوال دولة بنى أمية بعشرات السنين ، كما كان يدين بالتشيع على نحو من الأنحاء ولهذا أثره فى كتابه الأغانى وكتاباته التى قد تكشف عنها الأيام مما يوجب على الباحثين أن يعرفوا مظاهره وآثاره وأن يتنبهوا له إلى حد كبير .

د . محمد عرفه المغربى

---

(١) صاحب الأغانى أبو الفرج الراوية ص ١٤١ ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة طبعة هندية ج ١ ص ١٧٤ وتركت بعض الجمل تورعا عن ذكرها على أن لى موقفاً من الكتاب المعاصر ونقداً ليس هذا موضعه .

(٢) راجع كتابنا مجالس الأدب والغناء العصر الأموى - طبعة دار الهدى بالسيدة زينب بمصر .

خلاصة البحث

١ - ظهر من البحث أنه رغم لقب صاحبنا « الأصبهانى » ورغم شيوع هـذا اللقب فإنه كان أموياً ينتهى نسبه إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية .

كما كان متعصباً لقومه بعد أن زالت دولتهم ، فهو يدافع عن أمجادهم دفاع العالم الخبير ، ويدفع مثالبهم ، ويشكك فى صحتها وفى رواتها حتى يقل وقعها وأثرها فى النفوس ، ويروى من الشعر ما مدحوا به ، وما رثيت به دولتهم عند زوالها على أيدى بنى العباس .

٢ - ومن هنا كانت حملته على إقليم الحجاز ، ووصف مجالس الغناء فيه ، ووصف أهله باللهو والمجون إذ هم أعداء بنى أمية الألداء ، وهم الذين حملوا السلاح لإسقاط دولتهم فى عهد يزيد ومروان وعبد الملك وظلوا يتربصون بهم الدوائر حتى سقطت الدولة عام ١٣٢ هـ فهو يراهم أعداءه ، ومن هنا كان النيل منهم ، والمبالغة فى ذكر مثالبهم مما لا يقبله العقل ، ولا يرتضيه المنطق ، وهو فى هذا كله مدفوع بتعصبه لنسبه ولقومه .

٣ - ورغم عداء الشيعة للأمويين مما جعل بعض الباحثين فى القديم وفى الحديث ينفون تشيعه ، فقد ظهر أنه كان متشيعاً ، وأن ذلك العداء قد خف بعض الشىء بعد زوال خلافة بنى أمية ووقوع ظلم العباسيين على الشيعة وعلى الأمويين جميعاً مما جعل تشيع أبى الفرج أمراً ممكنا ، بعد أن عرفنا أن نسبه من جهة أمه يرجع إلى « آل ثوابة » وهم شيعة متعصبون ، كما كانت تربيته فى الكوفة موطن الشيعة عاملا مهما فى هذا الأمر .

فأبو الفرج أموى شيعى ، واسع العلم والثقافة ، أخذ عن شيوخ عصره فى اللغة والتاريخ والأدب والأنساب وغيرها ولكن تعصبه يجعلنا نقف وقفة أناة عندما يسوقه عن أهل الحجاز أعداء بنى أمية ، وقد نرفض بعض أخباره عنهم فى بعض الأحيان ، متى ظهر فيها التحامل والادعاء .

د. محمد عرفة المغربى

مراجع البحث

١ ـ أبو الشهداء الحسن بن على للأستاذ عباس محمود العقاد طبعة ثانية .

٢ ـ أبو الفرج الأصفهانى أديب مشهور مغمور مقال للأستاذ محمد خير موسى فى مجلة عالم الفكر المجلد الخامس عشر العدد الأول من يونيه ١٩٨٤ .

٣ ـ أبو الفرج الأصبهانى من سلسلة نوابغ الفكر للأستاذ شفيق جبرى ط دار المعارف .

٤ ـ الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ط دار الشعب تحقيق الأستاذ شفيق جبرى ط دار المعارف .

٥ ـ تاريخ بغداد للحافظ البغدادى طبعة دار الكاتب ببيروت .

٦ ـ تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .

٧ ـ جمهرة أنساب العرب .

٨ ـ حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر العدد الثانى .

٩ ـ صاحب الأغانى أبو الفرج الأصفهانى الراوية للدكتور محمد أحمد خلف الله الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .

١٠ ـ ظهر الإسلام للدكتور أحمد أمين ط ثالثة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢ .

١١ ـ على وبنوه للدكتور طه حسين طبعة دار المعارف ص ٢٤٧ .

١٢ ـ فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين للدكتور مصطفى الشكعة مطبعة الأنجلو .

١٣ ـ لسان الميزان لابن حجر طبع مؤسسة الأعلى للمطبوعات ببيروت ط ثانية .

١٤ ـ معجم الأدباء لياقوت طبعة دار المأمون .

١٥ ـ مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصبهانى شرح وتحقيق السيد أحمد صقر طبعة عيسى الحلبى ١٩٤٩ .

١٦ ـ مقدمة ابن خلدون المطبعة البهية بمصر .

١٧ ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى .

١٨ ـ النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لابن تعزى بردى .

١٩ ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ط هندية .

٢٠ ـ وفيات الأعيان وأبناء الزمان لابن خلكان تحقيق دكتور إحسان عباس طبعة دار صادر ببيروت .

د . محمد عرفة المغربى

أستاذ الأدب والنقد المساعد بالكلية